

الموعظة الخامسة

عُلُّوْهُمَّةٍ

هدف الموعظة

بيان أهمية الهمة وفوائدها وضرورة الاستفادة منها في المصارف السليمة.

محاور الموعظة

1. ضرورة الهمة
2. فضائل الهمة
3. كيف تُصنع الهمة؟
4. الشهوات والهمة العالية
5. مصرف الهمة

تصدير الموعظة

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾¹.

¹ سورة الملك، الآية 2.

تمهيد

لم يُخْلَقِ الإنسانُ للكسل أو الضجر أو التَّوَمُّ أو الفراغ، بل خُلِقَ للعمل والكِدِّ والاجتهاد؛ لِيُثَبِّتَ استحقاقه إِمَّا للثواب ومقام القرب الإلهي، وإِمَّا للعقاب والغضب الإلهي، وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة.

ضرورة الهمة

إنَّ الإنسان الذي يعي حقيقة أنَّه مخلوقٌ من أجل امتحان أعماله واختبارها، لا بدَّ له من أن ينزع لباس الكسل، ويتزيّن برداء الهمة العالية والاندفاع النشط، أو ما عبّر عنه القرآن الكريم بالكدح، الذي يجب أن لا يتوقّف حتّى يلاقي الإنسان ربّه، كما يقول -تعالى- في كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾¹.

ثم تكمل الآيات الكريمة لتوضّح النتيجة التي يؤول إليها كدح الإنسان هذا، فتقول: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوِّيَ كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَنَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوِّيَ كِتَابُهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾². إذًا، مصير الإنسان متوقّفٌ على نتائج همته وسعيه.

فضائل الهمة

ربطت الأحاديثُ الشريفة الكثيرَ من محاسن الأفعال والصفات والقيم النبيلة بالهمة العالية. ويتبيّن ذلك من خلال الأمور الآتية:

¹ سورة الانشقاق، الآية 6.

² سورة الانشقاق، الآيات 7-12.

1. استحقاق الثناء

إنَّ من يرى فعلاً يتَّسم بالجمال، سواء كان من خلال صناعة أو إدارة أو بناء أو كتاب أو لوحة أو أيِّ شيءٍ آخر، يعرف أنَّ وراء ذلك العمل همَّةٌ عاليةٌ استوجبتَ مَدْحَ أمير المؤمنين (عليه السلام)، بقوله: «الْفِعْلُ الْجَمِيلُ يُنْبِئُ عَنَ عُلُوِّ الْهِمَّةِ»¹.

2. الشجاعة

وهكذا حال الشجاعة، التي هي من أنبل صفات الإنسان، ويربط الإمام عليّ (عليه السلام) بينها وبين الهمة، بقوله: «شَجَاعَةُ الرَّجُلِ عَلَى قَدْرِ هِمَّتِهِ»². ولا يخفى كيف تساهم الهمة العالية في تعزيز الإقدام والاندفاع لدى الإنسان، بخلاف الكسل والضعف، فإنَّه كثيرًا ما يدعو الإنسان للتراجع والتقهقر في المواطن التي يجدر به أن يُبرز شجاعته فيها.

3. الكرم

والكرم في حديث الإمام (عليه السلام)، هو ناتجٌ عن همَّة الإنسان العالية، إذ يقول (عليه السلام): «الْكَرْمُ نَتِيجَةُ عُلُوِّ الْهِمَّةِ»³. وذلك لأنَّ الكرم ليس محدودًا بجانب البذل المادّي فقط، بل يشمل بذل السواعد والهمم في مساعدة الناس وخدمتهم في الشؤون العامّة، وهذا الأمر يتطلَّب همَّةً عالية. بينما تجد الكسول والنَّوَامَ لا يهتمُّ إلَّا براحتة الشخصية، ولا يفكر في أمر المجتمع من حوله، وليس مستعدًّا لأنَّ يبذل شيئًا من طاقته الماديّة أو البدنيّة أو الفكريّة من

¹ التميمي الآمدي، عبد الواحد بن محمد، غرر الحكم ودرر الكلم، تحقيق وتصحيح السيّد مهدي رجائي، دار الكتاب الإسلامي، إيران - قم، 1410هـ، لا.ط، ص74.

² الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، مصدر سابق، ص298.

³ المصدر نفسه، ص28.

أجل خدمة الناس.

4. القناعة

إنَّ من نتائج الهمة العالية، التي تدفع الإنسان إلى العمل وإتقانه، هو قناعته بما وصل إليه، بعدما سعى إليه بؤُسْعِهِ كُلِّهِ. لذا، ورد عن الإمام عليّ (عليه السلام): «مَنْ شَرَفِ الْهِمَّةِ لَزُومُ الْقَنَاعَةِ»¹، وعنه (عليه السلام): «الْكَفُّ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ عَقَّةٌ وَكِبْرُ هِمَّةٍ»².

كيف تُصنَعُ الهمة؟

إنَّ كانت الهمة هي الدافع لتحقيق هدف الإنسان في الحياة، وإن كانت الهمة منشأً أساسياً في تلك الكمالات، فحريٌّ للإنسان أن يبحث عمّا يولّد تلك الهمة، ويرفعه من حالة الخمود والحمول إلى الجدّ في العمل.

وفي مقام الجواب عن ذلك المولّد للهمة، الرفع الإنسانَ إلى حالة الجدّ، تبرز معرفة القيمة والأهمية للعمل في أولى مراتب ما يصنع الهمة.

ففرقٌ شاسعٌ بين شخصٍ طُلِبَ منه أن يسعى نحو جوهرة نفيسة، على أن يمتلكها حينما يحوزها، وقد عرف القيمة العالية جدّاً لهذه الجوهرة، وبين شخصٍ طُلِبَ منه أن يسعى نحو تلك الجوهرة، كحال صاحبه، إلّا أنّه لا يعرف أنّها جوهرة، بل يظنّها زجاجة، فكم هو الفارق بين همة الأول نحو العمل، وهمة الآخر.

من هنا، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «مَنْ صَحَتْ مَعْرِفَتُهُ، انْصَرَفَتْ عَنِ الْعَالَمِ الْفَانِي

¹ الليثيّ الواسطيّ، عيون الحكم والمواعظ، مصدر سابق، ص471.

² التميميّ الآمدي، غرر الحكم ودرر الكلم، مصدر سابق، ص74.

نَفْسُهُ وَهَمَّتُهُ»¹.

الشهوات والهمة العالية

فإذا كانت همة المرء جناحيه اللذين يطير بهما، فإنَّ شهوته وخلوده إلى الشهوات والغرائز هي التي تضع المرء وتحطّ من قدره، فعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «مَا رَفَعَ امْرَأً كَهَمَّتِهِ، وَلَا وَضَعَهُ كَشَهْوَتِهِ»².

وعليه، فغلّو الهمة سيف ذو حدّين، فكما يمكن استغلالها في الطاعة والعبادة وإتقان الأعمال، فإنّه يمكن استغلالها في المعصية والبُعد عن الله.

مصرف الهمة

بيّنت الروايات الشريفة الأمور التي ينبغي أن تُصرف همة المؤمن فيها، وهي:

1. التقرّب إلى الله: فعن رسول الله (صلّى الله عليه وآله): «وَاصْرِفُوا هِمَّتَكُمْ بِالتَّقَرُّبِ إِلَى طَاعَتِهِ (الله)»³.
2. بناء الآخرة: فعن الإمام الباقر (عليه السلام): «وَلْتَكُنْ هِمَّتُكَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ»⁴.
3. تزكية النفس وإصلاح الناس: فعن عليّ (عليه السلام): «إِنْ سَمَتْ هِمَّتُكَ لِإِصْلَاحِ

¹ التميمي الآمدي، غرر الحكم ودرر الكلم، مصدر سابق، ص 664.

² الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، مصدر سابق، ص 484.

³ ابن فهد الحلبي، عدّة الداعي، مصدر سابق، ص 288.

⁴ الوحيد البهبهاني، الشيخ محمد باقر، حاشية مجمع الفائدة والبرهان، مؤسسة العلامة المجدد الوحيد البهبهاني، منشورات مؤسسة العلامة المجدد الوحيد البهبهاني، 1417، ط 1، ص 24.

النَّاسِ، فَأَبْدَأُ بِنَفْسِكَ؛ فَإِنْ تَعَاظَيْتَ إِصْلَاحَ غَيْرِكَ وَنَفْسُكَ فَاسِدَةٌ، فَهُوَ أَكْبَرُ عَيْبٍ»¹.

¹ الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، مصدر سابق، ص 164.